



الثورة السورية: خواطر ومشاعر (57)

سمكة تشرشل وثورة سوريا

اجتاح الألمان بولندا في الأول من أيلول سنة 1939، وخلال الشهور اللاحقة سقطت هولندا وبليجيكا ولوكسembourg والترويج والدنمارك ودول البلقان وجميع دول أوروبا الشرقية في يد الجيوش الألمانية والإيطالية، وفي الثاني والعشرين من حزيران 1940 استسلمت فرنسا، ولم يبق سوى بريطانيا.

كانت كل التوقعات الألمانية تؤكد استحالة صمود بريطانيا وتشير إلى حتمية سقوطها، وقد شُنت عليها حرب مدمرة من الجو طوال السنة اللاحقة، ولكن البريطانيين تشبثوا بمواعدهم واستمатаوا بالدفاع عن جزيرتهم، واستطاعوا أن يبنوا قوتهم ببطء ومثابرة وأن يتقدموا على جبهات القتال شبراً بعد شبر ومتراً بعد متر، وصولاً إلى اليوم الذي تدفقت فيه قوات الحلفاء من الجزر البريطانية على البر الأوروبي المحتل، يوم النزول على شواطئ نورمندي في السادس من حزيران عام 1944.

لقد مضت أربع سنوات كاملة حافلة بالصبر والعمل الدؤوب والتقدم البطيء، وتحقق في النهاية ما بدا في البداية من المستحيلات، هُزمت ألمانيا.

بعد انتهاء الحرب بقليل شاعت بين الناس قصة رمزية تصوّر الطريقة التي انتصرت بها بريطانيا. قيل إن هتلر دعا تشرشل إلى لقائه في باريس بعد سقوط فرنسا مباشرة، وعندما وصل تشرشل بالطائرة اصطحبه مرافقوه إلى قصر مونتبلو حيث كان هتلر وموسوليوني جالسين إلى مائدة شاي قرب بركة السمك المشهورة. ولم يضيع هتلر الوقت فبادر ضيفه قائلاً: عزيزي تشرشل، لقد انتهى الأمر؛ أوروبا كلها صارت في أيدينا أنا وموسو ولم يبق علينا سوى بريطانيا، وهذه وثيقة الاستسلام قد أعدتها لتوفّعها فتتوفر على بريطانيا وعلى سائر أوروبا الدماء والدمار.

فرد تشرشل بهدوء: أعتذر منك حضرة الفوهرر؛ إن بريطانيا لم تخسر الحرب بعد.

فصاح هتلر في وجهه وهو يضرب الطاولة بيده: هذا هراء، ألا ترى كيف اجتاحت جيوشنا القارة بأكملها؟ إننا قادرّون على تحطيم بريطانيا في ساعات. أنصحك بمراجعة قرارك والتوقيع عاجلاً غير آجل.

فارتشف تشرشل عدة رشفات من كوب الشاي ثم قال باسترخاء: أقترح أن نلجم إلى الراهن، ففي بلادنا نصنع ذلك لجسم خلاف من هذا النوع. هل تحب أن تراهنني، ومن يخسر الراهن يعترف بأنه خسر الحرب؟

فسأل هتلر متشككاً: وما هو الراهن؟

قال تشرشل: هل ترى تلك السمك التي تسحب في البركة؟ لتفق على أن من ينجح في الإمساك بواحدة منها دون الاستعانة بأي من أدوات الصيد المعروفة يعتبر فائزاً في الراهن.

رد هتلر بحماسة: قبلت! ثم أخرج مسدسه من جرابه وأطلقه بحماسة على سمكة كبيرة أمامه، ولكن السمكة كانت أسرع من حركته فانثنى اثناء سريعة دون أن تصاب بأذى وطاشت الطلقة في الماء. غضب هتلر والتفت إلى موسوليني صائحاً: هذا دورك يا موسو، لقد سمعت أنك سباح ماهر.

خلع موسوليني قميصه وقفز إلى الماء، ولكنه أخفق في القبض على أي سمكة لأن السمك كان ينزلق من بين يديه باستمرار، فلما يئس خرج من البركة متعباً خاوي اليدين. فقال هتلر: هذا دورك يا تشرشل، أرنا ما تستطيع عمله.

قام تشرشل عن مقعده بهدوء وهو يحمل في يده الملعقة الصغيرة التي حرك بها السكر في كوب الشاي، فغمستها في البركة ثم أخرجها وفيها قليل من الماء فسكنه على الأرض، ثم كرر الأمر نفسه مرتين وثلاثة فيما راح هتلر يراقبه مشدوهاً، وأخيراً نفذ صبره فهتف فيه: ماذا تظن نفسك فاعلاً يا تشرشل؟

فرد تشرشل دون أن يتوقف عن نزح الماء: سوف يستغرق الأمر زمناً طويلاً، ولكن البركة ستفرغ آجلاً من الماء وتسكن السمكة فأمسك بها وأقدمها إليك. عزيزي الفوهرر: قد يطول الأمد، ولكن بريطانيا ستكتسب الحرب.

* * *

قبل شهرين أصابت رصاصه غاردة أطلقها قناص لئيم رجلاً يعبر الطريق في أحد أحياe حمص، فأصيب الرجل وسقط على الأرض ولكنه لم يمُتْ، وحاول أصحابه أن ينقذه بلا طائل، فقد أصرّ القناص المجرم على أن يقتضي أي شخص يقترب من الضحية، وقد عرف الناس من قبل حالات بدأت بمصاب أو شهيد وانتهت بكومة من عدة شهداء بعضهم فوق بعض، فكلما حاول أحد منهم إنقاذ المصابين أو سحب الشهداء لحق بهم. أصيب الرجل وسقط على الأرض وجراحه ينزف، وعجز أصحابه عن إنقاذه فمات في اليوم التالي؛ قتله النزيف - رحمة الله - .

يا ثوار سوريا الأبطال: لقد فجرتم ثورتكم المباركة -بإذن الله-. قبل عام وشهرين فأصاب انفجارها العظيمِ النظامَ بالجراح، فإنه ما يزال ينزف منها منذ ذلك اليوم إلى اليوم، وإنه لا دواء لنزفه ولا علاج إلا بتوقف ثورتكم، فإن لم تقفوا لها لم يقف نزفها، وإن لم يتوقف النزف فإنه ميت لا محالة.

نعم، قد يطول الأمد، ولكن الثورة ستكتسب الحرب -إن شاء الله-.

المصدر: الزلزال السوري

المصادر: